الفرق بين قاعدة ما هو سحر يكفر به، وقاعدة ما ليس كذلك (دراسة أصولية تطبيقية)

محمد نور الجدوع، د. ياسين علوش

قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة والحقوق، جامعة إدلب

الملخص:

يتناول البحث دراسة قاعدة فقهية من قواعد الإمام القرافي رحمه الله، ويبين أهميتها في تصنيف أنواع السحر الكفري وتمييزه عما يلتبس به من الأعمال التي فيها شبه بالسحر، ما ينعكس على بناء التصور السليم لصورة السحر الحقيقي الكفري، قبل الحكم في نوازله، كما يقوم البحث ببيان حقيقة السحر، وبيان خطره على الضروريات الخمس التي ذكرها علماء أصول الفقه، ثم يوجّه الباحث بعض الانتقادات العلمية لما ذكره الإمام القرافي رحمه الله من تقسيم لهذه القاعدة، وإعادة تصنيف أنواع السحر التي ذكرها القرافي في شرحه ولكن بشكل محقق علمياً.

الكلمات المفتاحية:

السحر، الفرق، قاعدة، خطر السحر، الضروريات الخمس، السحر الكفري، يلتبس بالسحر.

Disparity Between the Principle of What Constitutes sorcery That Leads to Disbelief and the Principle of What Does not.

(An Applied Foundational Study)

Mohammed Noor Al-Jadou, Dr. Yaseen Alloush

Department of Jurisprudence and Its Principles, Faculty of Sharia and Law, Idlib University

Abstract:

The research addresses a legal principle from the rules of Imam al-Qarafi, may Allah have mercy on him, and demonstrates its importance in classifying types of sorcery that lead to disbelief and distinguishing it from actions that resemble sorcery. This has implications for building an accurate understanding of the true nature of disbelieving sorcery before ruling on its various cases. The research also clarifies the reality of sorcery and its dangers to the five essential needs mentioned by scholars of legal principles. Additionally, the researcher offers some scientific critiques of what Imam al-Qarafi stated regarding the classification of this principle and provides a scientifically validated reclassification of the types of sorcery mentioned by al-Qarafi in his explanation.

Keywords:

sorcery, distinction, principle, dangers of sorcery, five essential needs, disbelieving sorcery, resembling sorcery.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحفيظ المعين، المعيذ من استعاذ به من شرور السحرة والشياطين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إنَّ الحديث عن السِّحر الحقيقي وبيان أنواعه أمر بالغ الأهمية للفقيه والمفتي؛ لحصر التصوُّر في حقيقة السحر الحقيقي دون ما ليس كذلك مثل سحر التخييل، أو ما يشترك مع السحر من الناحية اللغوية، لأن ذلك أمر مهمٌّ قبل النظر في فروع المسائل والفتوى في النوازل المتعلقة بموضوع السحر، ونظراً لأهمية كتاب الفروق للقرافي فقهياً؛ درس الباحث فرقاً من فروق الإمام القرافي وهو: "الفرق بين قاعدة ما هو سحر يكفر به، وبين قاعدة ما ليس كذلك"[1]، وذلك من خلال دراسة الأنواع التي ذكرها الإمام القرافي بشكل مختصر مع توضيحها وتحقيقها بأسلوب علمي.

أهمية البحث:

1. إنَّ قضية التوحيد هي القضية الأهم في الإسلام، وجريمة السحر تُعد من أنواع الشرك بالله العظيم، والتقرب إلى الشيطان الرجيم العدو الأول للإنسان، فوجب ضبطها بقواعد أهل العلم، لأن المسألة مسألة إيمان وكفر.
2. قد أثبت الواقع والتاريخ أن للسحر أضراراً عظيمة على المجتمعات والأفراد، فكان من الأهمية بمكان التصدي له وبيان خطره.
3. إنَّ إصدار الحكم الشرعي من قِبل المفتي حول موضوع السحر يحتاج إدراك حقيقة السحر، وحصر الأنواع التي توصف بأنها سحر حقيقي شرعاً، وليست من قبيل ألعاب الخفة أو التفاعلات الكيميائية التي قد يجهلها العامة، وغيرها من الأمور التي تشترك مع السحر من الناحية اللغوية.

منهج البحث

يسلُك الباحث في دراسة أنواع السحر التي أوردها الإمام القرافي سواءً كان كفرياً أم لا؟ بحسب تقسيمه العام الذي أورده، وبيان التحقيق العلمي لها من خلال تتبع واستقراء أقوال الفقهاء في كل نوع من هذه الأنواع، بغية الوصول إلى النتيجة من هذه القاعدة الفقهية، وهي تقرير أهميتها، وتحقيقها علمياً.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث بحسب اطِّلاعه أي دراسات سابقة تتعلق بهذه القاعدة الفقهية.

الصعوبات:

1. صعوبة مصطلحات الإمام القرافي في تناوله لهذه القاعدة، ما جعلني أعاني حقيقة في البحث حول معناها، وضبطها بأقوال المحققين من أهل العلم.
2. خفاء موضوع السحر وغموضه.

خطوات البحث:

1. اعتمدت على المصادر والمراجع الأصلية في العزو والتدليل، بحيث تكون أي معلومة متعلقة بفن من الفنون منسوبة لمصادرها المُعتمدة.
2. عند العزو إلى المصادر والمراجع، فأتَّبع الترتيب المتعارف عليه في أبحاث المجلة العلمية لجامعة إدلب.
3. عزوُ الآيات إلى سورها وأرقامها، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما بدون ذكر رتبة الحديث، وإذا كان الحديث في غيرهما فأذكر مصدرين في التخريج على الأقل إن وجد، وأذكر رتبة الحديث من كتب التخريج المعتمدة صحة وضعفاً.
4. وضع الكلام المنقول حرفياً بين علامتي تنصيص، وفي حال نقل الكلام بمعناه والتصرف فيه أضع كلمة: (ينظر) في أول سطر الحاشية، وفي حال اختصار الكلام الطويل بما لا يخل بالفكرة أضع كلمة: (مختصراً) في نهاية سطر الحاشية، وفي حال حذف بعض الكلمات أو الزيادة اليسيرة للتوضيح أضع كلمة: (بتصرف) في نهاية سطر الحاشية.
5. سأشرح الألفاظ الغريبة من معاجم اللغة العربية المشهورة.

6. سأُرتِّب فهرس المصادر في نهاية البحث بحسب الترتيب الهجائي.

خطة البحث: وتتكون من ثلاث مطالب رئيسية.

المطلب التمهيدي: التعريفُ بمصطلحات البحث.

أولاً: تعريف السِّحر في اللُّغة والاصطلاح الشرعي.

ثالثاً: تعريف الكفر في اللُّغة والاصطلاح الشرعي.

رابعاً: ضابط الحكم على العمل بأنه كفري أم لا.

المطلب الأول: من أنواع السِّحر الحقيقي الكُفري.

أولاً: سحر السِّيمياء.

ثانياً: سحر الْهِيمْيَاء.

ثالثاً: بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها.

رابعاً: العزائم

خامساً: الاستخدامات

سادساً: الطِّلَّسْمات

سابعاً: الأوفاق (علم الحرف).

المطلب الثاني: من أنواع السِّحر المجازي الذي يلتبس بالسِّحر الحقيقي.

أولاً: الخواص المنسوبة إلى الحقائق.

ثانياً: خواص النفوس.

ثالثاً: الرقى.

الخاتمة.

المبحث التمهيدي: التعريفُ بمصطلحات البحث.

أولاً: تعريف السِّحر في اللُّغة والاصطلاح الشرعي.

أ_ السحر في اللُّغة.

قد تنوَّعت معاني السِّحر في معاجم اللُّغة العربية، ومن أبرز هذه المعاني أن يأتي السِّحر بمعنى الأُخَذة: وهي ما يُحتال به في السِّحر من كلام أو شيء، كخرزة تؤخذ بها العين[2].

ويأتي أيضاً بمعنى ما لطُف سببُه ودقَّ وخفي_ويدُلُّ ذلك على الصِّغر في الشَّيء، أو الغُموض والخفاء الذي يلفُّه[3].

كما جاء في معجم مختار الصحاح: "والسِّحر الأُخَذة، وكلُّ ما لطُف مأخذه ودقَّ؛ فهو سحر"[4].

ب_ السِّحر في الاصطلاح الشرعي.

لقد اختلفت أقوال العلماء حول تعريف السِّحر اصطلاحاً؛ وذلك كنتيجة لاختلافهم في تصوُّر حقيقته، ولكونه من الأمور التي تحدث خُفية، ولكثرة أنواعه واختلافها، ما يُصعِّب عملية حدّه بحدٍّ جامع مانع، ولهذا فإن تعريفات العلماء له إنما هي محاولات اجتهادية لضبط تصوُّره العام[5].

1- عرَّف الحنفية السحر بأنه: "قول يُعظَّم فيه غير الله تعالى، تُنسب إليه التقديرات، والتأثيرات"[6]، وجاء في حاشية ابن عابدين أنه: "علم يُستفاد منه حصول ملكة نفسانية؛ يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية"[7]، وهذا التعريف ترك كيفية تأثير السِّحر وحدوثه، وتحدث عن أثره فقط.

2- عرَّف المالكية السحر فقالوا: "السِّحر كلام مؤلَّف يُعظَّم به غير الله، وتُنسب المقادير فيه، والكيفيَّات والكائنات لغيره"[8].

قُلت: اقتصر تعريفهم على بيان خطر السِّحر على الإيمان، وأغفل الحديث عن كيفية تأثير السِّحر وحدوثه.

3- تعريف الشافعية للسحر: قالوا: "هو مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة، بتأثير الله عادة" [9]، وهو تعريف عام لا يكشف اللثام عن المشكلة.

4- تعريف الحنابلة للسحر بأنّه: "عُقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل عن زوجته فيمنعه وطأها، أو يعقد المتزوج فلا يطيق وطأها"[10] وأضاف ابن قدامة[11] -رحمه الله- على ذلك بأن قال: "ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين"[12].

إنَّ هذا التعريف جيد وفيه تفاصيل هامة، لكننا لسنا في معرض ذكر أنواع السِّحر، بل الغاية هي الوقوف على مفهوم السِّحر.

ثم بعد الاستقراء لتعريفات أهل العلم، والنظر في واقع السَّحرة والمرضى بالسِّحر يصل الباحث لتعريف جامع مانع للسِّحر -فيما يحسب-: هو عقدٌ تُبرمه الشَّياطين مع وليها السَّاحر الكافر المكتسب لعلوم السِّحر، يشمل أقوالاً وأفعالاً وموادا خاصَّةً يتعلُّمها السَّاحر ويُطبِّقُها، ويتقرَّب بها إلى الشياطين، فتَحدُث أمورٌ خفيَّة، وخارقةٌ للعادة على يد السَّاحر، أو على المُراد سِحره، تُباشر فعلها الشَّياطين؛ مِمَّا يُسبِّب أضراراً في نفس المسحور أو ماله؛ بمشيئة الله وحكمته، مع انتفاء الموانع من ذلك.

ثالثاً: تعريف الكفر في اللُّغة والاصطلاح الشرعي.

أ_ الكفر في اللُّغة: يأتي بمعنى الستر والتغطية[13]، وهو أيضاً نقيض الإيمان[14].

ب_ الكفر في الاصطلاح الشرعي: هو "تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم بما جاء به مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو ضد الايمان"[15].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "والكفر: عدم الإيمان؛ باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم"[16].

رابعاً: ضابط الحكم على العمل بأنه كفري أم لا.

يترتب على الحكم بكفر المسلم آثار خطيرة في الدنيا والآخرة، وقد حذر الإسلام من تكفير المسلم بغير وجه حق، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»[17].

وليس كل أحد وقع في قول أو فعل من الكفر يقع اسم الكفر عليه، وهذا له ضوابط معينة لتحقيق شروطه وانتفاء موانعه، وقد اتفق أئمة الإسلام على: "أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم"[18].

وقد جمع الدكتور سعيد بن علي القحطاني ضوابط التكفير جمعاً حسناً، وهذه الضوابط بشكل مختصر هي[19]:

1_ الحكم بالظاهر، لا تكون أحكامهم مبنية على الظنون والأوهام.

2_ الاحتياط في تكفير المعين؛ فإن الشخص الذي قال مقالة الكفر، أو فعل فعل الكفر، لا يحكم بكفره حتى تتوفر شروط الكفر، وتنتفي موانعه.

3_ عدم تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة.

4_ أن أهل السنة لا يُكفِّرون المسلم الموحِّد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب ما لم يستحل ذلك، فإن استحله كفر؛ لكونه بذلك مُكذِّباً لله ولرسوله – صلى الله عليه وسلم –، خارجاً عن دينه، أما إذا لم يستحلَّ ذلك فإنه لا يكفر بل يكون ضعيف الإيمان، وله حكم ما تعاطاه من المعاصي في التفسيق، وإقامة الحدود.

5– انتفاء الموانع: وهي الجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل، والتقليد إن كان المقلد جاهلاً لا بصيرة له ولا فقه.

تنبيه هام:

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا الموضع أن السحر كفر وليس مجرد معصية محرمة، فلا عذر لمن قد يحتج بأقوال المتساهلين من العلماء بكون السحر كبيرة محرمة فقط بل كفر وشرك بالله العظيم، وإنَّ مسائل السحر الفقهية والفتوى فيها يكون لأهل الاختصاص بالرقية الشرعية وعلاج السحر وأهل الدراية بالأمارات والعلامات والقرائن المحيطة بواقع السحرة المجرمين، الذين يقعون في الكفر كشرط في عمل السحر كقيامهم بتدنيس المصحف وعبادة الشياطين والعياذ بالله، وأما الخلاف الحاصل بين الفقهاء في كفر الساحر إنما هو خلاف شاذ، أو أن الذين قالوا بعدم كفر الساحر ظنوا أن السحر يتأتى بدون الكفر، وهذا محال لأن كتب السحر وشهادة السحرة التائبين تثبت أن السحرة لابد أن يكفروا بالله العظيم كشرط لعملهم بالسحر، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾[البقرة:102]

وقد أشار لهذا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، كما قال ابن تيمية رحمه الله: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد وترامي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون الدين الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا"[(20)].

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

- أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علمًا.

- والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر"

المطلب الأول: من أنواع السِّحر الحقيقي الكُفري.

أولاً: سحر السيمياء[21]:

وهو ما يسيطر على أوهام الأفراد من السِّحر، فيؤثر عليهم من خلال تخيُّل صِرْفٍ فقط، فيسلب الفكر الصحيح تماماً بحيث تصير أحوال الإنسان مع هذا النوع كحال النائم من غير فرق، بما يشبه الخيالات والأوهام، وقد يكون لبعضه وجود حقيقي ملموس أمام المسحور[22].

يقول القرافي –رحمه الله– موضحاً طبيعة تركيب هذا النوع من السِّحر وأثره: "وهو عبارة عما يركب من خواص أرضية كدهن خاص أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة" [23].

ثانياً: سحر الْهِيمْيَاء[24]:

هي سحر الاستعانة بالنُّجوم والأفلاك والكواكب السماوية، وهي مثل السيمياء من حيث الأثر، ولكنها تختلف عنها بأنها تتعلق بالاتصالات السماوية وأمور الأفلاك[25].

يقول ابن تيمية –رحمه الله–: " أما السيميا فإنَّها من السِّحر" [26].

وقريب من هذا النوع، نوعٌ ذكره الفخر الرازي –رحمه الله–: "وهو سحر الكلدانيين والكاسانيين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدُر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم ﷺ مبطلاً لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذهبهم"[27].

والصحيح والله أعلم أنَّ هذا الصِّنف يتمُّ بسبب الجنّ فليس للكواكب والنُّجوم تأثير فيه على الحقيقة[28]، ما يدل على أنَّ زعمهم الاتِّصال بالكواكب والأفلاك هو مجرد افتراء وتلبيس من الشَّياطين على عقول السَّحرة.

ثالثاً: بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها، من الخواص المغيرة لأحوال النفوس.

ليس المقصود ما يتعلق بعلم الطب من خواصِ الحقائق المُختصة بانفعالات الأمزجة صِحَّة أو سقماً نحو الأدوية والأغذية من الجماد والنبات والحيوان المسطورة في كتب الأطباء والعشَّابين، بل يختص بالسِّحر ما كان سلطانه على النُّفوس خاصة[29].

ومثاله: " كما تؤخذ سبع من الحجارة فيرجم بها نوع من الكلاب شأنه إذا رمى بحجر عضه وبعض الكلاب لا يعضه فالنوع الأول إذا رمي بهذه سبعة الأحجار فيعضها كلها، لُقطت بعد ذلك وطُرحت في ماء فمن شرب منه ظهرت فيه آثار عجيبة خاصة نصَّ عليها السَّحرة ونحو هذا النوع من الخواص المغيرة لأحوال النفوس"[30].

وهذه الأمور الثلاثة من أنواع السِّحر الحقيقي الكفري التي أكد عليها القرافي – رحمه الله– كما قال: "ثم هذه الأنواع قد تقع بلفظٍ وهو كفر، أو اعتقاد هو كفر، أو فعل هو كفر، فالأول: كالسَّب المتعلق بمن سبه كفر. والثاني: كاعتقاد انفراد الكواكب أو بعضها بالربوبية، والثالث: كإهانة ما أوجب الله تعظيمه من الكتاب العزيز، وغيره، فهذه الثلاثة متى وقع شيء منها في السِّحر؛ فذلك السِّحر كفر لا مرية فيه"[31].

ولكن عند البحث في بعض الأنواع الأخرى التي ذكرها القرافي، وربط ذلك بأقوال العلماء المحققين، وجدت أن هناك أقسام أخرى أغفل القرافي عدها من أنواع السِّحر الحقيقي المُكفر وهي:

رابعاً: العزائم:

هي كلمات يقولها السَّاحر ويستخدمها مع الطلاسم الكفرية أو الشركية لاستحضار الأرواح الخبيثة واسترضائها بتلك العزائم لكي تتسلط على من وكِّلت به [32].

قال الرازي –رحمه الله–: "ومن السِّحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية... ثم إنَّ أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أنَّ الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرُّقى والدخن والتجريد، فهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجنّ"[33]

والصواب والله أعلم: أن هذا النوع المسمى بالعزائم هو من أنواع السِّحر الحقيقي الذي يتم من خلال الاستعانة بالجنّ، أو هو جزء من السحر الحقيقي، حيث يقرأ السَّاحر العزائم والشركيات؛ ليتمَّ له حضور الشياطين وتواصله معهم وتقديمه القرابين لهم ليُنَفِّذوا بعض الطلبات، ويخدمونه فيما يرمي إليه من الإفساد والظلم.

خامساً: الاستخدامات: وهي قسمان: الكواكب، والجان، وبيانها كالآتي [34]:

1. أمَّا الكواكب فيزعمون أن للكواكب إدراكات روحانية؛ فإذا قُوبلت الكواكب ببخور خاص، ولباس خاص على من يباشر البخور، كانت روحانية تلك الكواكب بزعمهم مطيعة له متى أراد شيئًا فعلتْه له، وربما تقدمت منه أفعال خاصة منها ما هو محرم في الشرع كاللِّواط، ومنها ما هو كفر صريح، وكذلك الألفاظ التي يخاطب بها الكواكب منها ما هو كفر صريح فيناديه بلفظ الإلهية ونحو ذلك، ومنها ما هو غير محرم.
2. وكذلك القول في ملوك الجانِّ إذا عملوا لهم تلك الأعمال الخاصَّة لكلِّ ملِك من الملوك فهذا هو الذي يزعمون بالاستخدام، وأنه خاصٌّ بروحانيات الكواكب وملوك الجانِّ، وشروط هذه الأمور مستوعبة في كتب السحر، والغالب عليها الكفر.

والصواب في هذا القسم أنه من السِّحر الحقيقي المكفر، كما يقول حافظ الحكمي –رحمه الله–: "والصحيح أن السِّحر المُتعلَّم من الشَّياطين كُلُّه كفر، قليله وكثيره، كما هو ظاهر القرآن"[35].

سادساً: الطِّلَّسْمات.

الحكم على الطِّلَّسْم يكون بناءً على تصوُّر ما يحتويه من أعمال وألفاظ، وفي ذلك يذكر الإمام القرافي –رحمه الله– عن الطِّلَّسْمات: "وحقيقتها نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب _على زعم أهل هذا العلم_ في أجسام من المعادن أو غيرها تحدُث لها آثارٌ خاصَّة رُبطت بها في مجاري العادات، فلابدَّ في الطِّلَّسْم من أمور ثلاثة:

1. الأسماء المخصوصة.

2. وتعلقها ببعض أجزاء الفلك.
3. وجعلُها في جسم من الأجسام؛ ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك" [36]

وقال ابن خلدون –رحمه الله–: "وصاحب الطِّلَّسْمات يستعين بروحانيّات الكواكب وأسرار الأعداد وخواصّ الموجودات وأوضاع الفلك المؤثّرة في عالم العناصر، كما يقوله المنجّمون، ويقولون: السِّحر اتّحاد روحٍ بروح، والطّلسم اتّحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطّبائع العلويّة السّماويّة بالطّبائع السّفليّة، والطّبائع العلويّة هي روحانيّات الكواكب؛ ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنّجّامة" [37].

والملاحظ أنَّ القرافي –رحمه الله– ذكر أوصاف الطِّلَّسْمات، ولم يذكر حكمها، وذكر آخرون من العلماء أنها ممنوعة شرعاً إن رأى تأثيرها لا بذاتها، وأمَّا من اعتقد أنَّ لها فعلاً وتأثيرًا فذلك كفر [38].

وقد افترض القرافي –رحمه الله وعفا عنه– وجود منفعة من الطَّلاسم تجعل منها مباحة، ولكن الصواب والله أعلم أنها ما دامت تتعلق ببعض أجزاء الفلك وعلم النُّجوم فلا خير فيها ولا منفعة، بل هي كفر بالله لأنها قائمة على الاستعانة والتقرب إلى الشياطين بدعوى التقرب للكواكب.

سابعاً: الأوفاق (علم الحرف).

عرفها ابن خلدون بأنها: "تصرُّف النفوس الرَّبانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى، والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان"[39]

وجاء في كتاب أبجد العلوم نقلاً عن الشيخ داود الأنطاكي قوله: "هو علم باحث عن خواص الحروف أفراداً وتركيباً، وموضوعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق والتراكيب"[40]، فالأوفاق إنَّما هي مادة علم الحروف، وكيفية تقاسيمها وتركيبها، وهي من جملة علوم الروحانيات والفلك والنَّجَّامة[41].

ويمكن الإجابة عن رأي القرافي–رحمه الله– حين قال: "والضوابط الموضوعة لها حسنة لا تنخرم؛ إذا عرفت أعني في الصورة الوضع، وأمَّا ما نُسب إليها من الآثار قليلة الوقوع أو عديمته"[42]، بأن الأوفاق ليست حسنة، ولا هي أسباب لجلب نفع.

بل إنَّ هذا العلم لم يُؤثَر عن النبي ﷺ ولا الصحابة، وإنما هو علم حادث لا دليل عليه بل هو مع السِّحر والتنجيم والطِّلَّسْمات والشعبذة في باب واحد، فهو حرام سواءً استُعمل في غرض مباح أو محرم، لأن كتابة الحروف والأعداد لم يجعلها الله سبباً للشفاء أو حصول المنافع لا شرعاً ولا قدراً، وإن وقع ذلك أحياناً فهذا لا يدل على جوازها بل هو إما مصادفةً، أو استدراجاً وفتنة من الشَّياطين[43].

كما يقول الشاطبي –رحمه الله– أنَّها مجرد: "فلسفة ردوها إلى أوضاع الحروف، وجعلوها هي الحاكمة في العالم، وربما أشاروا عند العمل بمقتضى تلك الأذكار وما قصد بها إلى تحري الأوقات والأحوال الملائمة لطبائع الكواكب؛ ليحصل التأثير عندهم وحياً، فحكموا العقول والطبائع، كما ترى وتوجهوا شطرها، وأعرضوا عن رب العقل والطبائع"[44]

المطلب الثاني: من أنواع السِّحر المجازي الذي يلتبس بالسِّحر الحقيقي.

أولاً: الخواص المنسوبة إلى الحقائق.

لا شكَّ أنَّ الله تعالى أودع في أجزاء هذا العالم أسراراً، وخواصّاً عظيمة وكثيرة حتى لا يكاد يعرى شيءٌ عن خاصية، فمنها ما هو معلوم على الإطلاق كإرواء الماء، وإحراق النار، والأدوية المُبلِّدة المزيلة للعقل والمواد المُسْكرة، ونحو ذلك مما أودعه الله تعالى في أجزاء العالم لا يدخله فعل البشر، بل هو ثابت كامل مستقل بقدرة الله تعالى[45].

ويُلحق بذلك كل وسيلة ذات خاصية معينة تستخدم من قبيل الخداع واللَّعب على العقل لا من قبيل السِّحر، كما يقول البيضاوي –رحمه الله–: "وأمَّا ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يُريه صاحب خفة اليد فغير مذموم، وتسميته سحراً على التجوُّز، أو لما فيه من الدقة؛ لأنه في الأصل لِما خفي سببه" [46].

ثانياً: خواص النفوس.

هي نوعٌ خاصٌّ من الخواص المُودعة في العالم، المُرتبطة بطبائع الناس المختلفة، فلا يستوي اثنان منهم في مزاج واحد ويدل على ذلك أنك لا تجد أحدًا يشبه أحدًا من جميع الوجوه، فلمَّا حصل التباين في الصفات على الإطلاق وجب التباين في الأمزجة على الإطلاق، فنفس طُبعت على الشجاعة إلى الغاية، وأخرى على الجبن إلى الغاية وأخرى على الشر إلى الغاية، وأخرى على الخير إلى الغاية، وأخرى أي شيء عظمته هلك، وهذا هو المسمى بالعين وليس كل أحد يؤذي بالعين[47].

ويُلحق بهذا النوع ما نسبه الإمام الرازي إلى السِّحر وهو في الحقيقة ليس منه حين قال –رحمه الله–: "من السِّحر: سحر أصحاب الأوهام، والنفس القويَّة، [وضرب عليه أمثلة منها:] أنَّ الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشي عليه لو كان موضوعاً على الأرض لا يُمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على هاوية تحته، وما ذاك إلا لأن تخيل السقوط متى قوي أوجب ذلك، وثانيها: أنَّه اجتمعت الأطباء على نهي المَرْعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام" [48].

ثالثاً: الرقى.

الأصل فيها الإباحة ما لم تتعدَّ الكلام المباح، بأن كانت تخالف الشرع وما لم تكن شركاً، كما قال النبي ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[49].

وعرَّفها القرافي –رحمه الله– بأنها: "ألفاظ خاصَّة يحدُث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يُحدث ضرراً، بل ذلك يقال له السِّحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها ما هو غير مشروع كرُقى الجاهلية والهند وغيرهما، وربما كان كفراً، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى بالعجمية لاحتمال أن يكون فيه محرَّم" [50]، فأشار رحمه الله إلى أن الرقى لا تطلق على ما يحدث ضرراً، فهي لا تصنف مع ألفاظ السِّحر.

وإلى هُنا يكون الباحث قد أوضح بفضل الله أنواع السحر وتصنيفاته، وبذلك يتضح الارتباط الوثيق ما بين فهم الواقع الصحيح للمسألة وحقائق الأمور ومن ثم بناءً على ذلك يكون الحكم الشرعي، وقد نص الفقهاء على هذا المعنى في قاعدة فقهية جليلة وهي: "أنَّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره"[51].

الخاتمة: وقد تضمنت النتائج والتوصيات من هذا البحث.

نتائج البحث:

1_ التعريف الاصطلاحي للسحر الذي توصل له الباحث بعد الاستقراء لتعاريف العلماء للسحر، وبعد معاينة واقع المرضى وأقوال السحرة التائبين: "هو عقدٌ تُبرمه الشَّياطين مع وليها السَّاحر الكافر المكتسب لعلوم السِّحر، يشمل أقوالاً وأفعالاً وموادا خاصَّةً يتعلَّمها السَّاحر ويُطبِّقُها، ويتقرَّب بها إلى الشياطين، فتَحدُث أمورٌ خفيَّة، وخارقةٌ للعادة على يد السَّاحر، أو على المُراد سِحره، تُباشر فعلها الشَّياطين؛ مِمَّا يُسبِّب أضراراً في نفس المسحور أو ماله؛ بمشيئة الله وحكمته، مع انتفاء الموانع من ذلك".

2_ التكفير له ضوابطه عند الفقهاء، ولا يجوز الحكم بكفر المعين إلا بتحقق الشروط وانتفاء الموانع، مع التنبيه إلى أن أهل الاختصاص في التصدي للسحر وعلاجه وطرائق السحرة هم أولى الناس في الفتيا بمسائله، لأنهم أدرى النماس بحقيقة الواقعة وأماراتها.

3_ أنواع السحر الحقيقي الكفري بحسب فرق الإمام القرافي، وبعد الدراسة والتحقيق هي: سحر السيمياء، وسحر الْهِيمْيَاء، وبعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها، من الخواص المغيرة لأحوال النفوس، والعزائم، والاستخدامات، والطِّلَّسْمات، والأوفاق.

4_ أنواع السِّحر المجازي الذي يلتبس بالسِّحر الحقيقي كما ذكرها القرافي رحمه الله، هي: الخواص المنسوبة إلى الحقائق، وخواص النفوس، والرقى.

التوصيات:

1_أوصي علماء المسلمين ودعاتهم بتحذير الناس من السحر وخطره الذي قد يخفى على بعض الناس عبر المحاضرات والخطب، وعقد الندوات الجادَّة بوجود مختلف الاختصاصات للتحذير منه وتوضيح خطره، حيث إنَّ أضرار السحر على الفرد والأمة كبيرة، وقد أوضح الباحث أن السحر يؤثر في جميع الضروريات الخمس الكبرى.

2_ يقترح الباحث القائمين على أمر المحرر بإصدار قانون خاص بجرائم السحرة والمشعوذين في شمال غرب سوريا، وقانون آخر يُنظِّم عمل الرُّقية الشرعية.

3_ يُوجِّه الباحث غيره من الباحثين للتركيز على أكبر الشرور في المجتمعات الإسلامية، وأن يولوها العناية والبحث قبل غيرها من المواضيع.

الحواشي

(1) القرافي: القرافي (أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، ت: 684هـ): **الفروق، وبعده مفصولاً بفاصل: «ادرار الشروق على انوار الفروق»، بعده مفصولا بفاصل: «تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية»**، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت، 4/ 186.

(2) يُنظر: الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: 817هـ): **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426 هـ / 2005 م، ص330، (مادة: أ خ ذ)، ويُنظر: الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: 1205هـ): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، دار الفكر، ط2، 1424 هـ، 5/ 346 (مادة: أ خ ذ)، ويُنظر: أحمد الزيات وآخرون: **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، القاهرة، ط1، د. ت، 1/ 8، (مادة: أ خ ذ).

(3) يُنظر: الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص405، (مادة: س ح ر)، ويُنظر: ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ /1994م، 9/ 316، (مادة: س ح ر)، ويُنظر: الزبيدي: **تاج العروس**، 12/ 480، (مادة ل ط ف)، ويُنظر: ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريَّاء، ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ /1979م، 5/ 250، (مادة: ل ط ف).

(4) الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ت: 666هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت ، ط5، 1420هـ / 1999م، ص143، (مادة: س ح ر).

(5) صالح بن عبد العزيز بن علي الدعفس، **جريمة السِّحر وعقوبتها في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية**، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، معهد الدراسات العليا، الرياض، 1419هـ/1998م، ص153.

(6) يُنظر: الزيلعي (عثمان بن علي بن محجن، ت: 743 هـ)**: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي**، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط1، 1313هـ/ 1895م، 3/ 293.

(7) ابن عابدين (محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، ت: 1252هـ)**: رد المحتار على الدر المختار**، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ/ 1992م، 44/1.

(8) يُنظر: زروق (أحمد بن أحمد بن محمد، ت: 899هـ)**: شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427 هـ / 2006 م، 2/ 87.

(9) الشَّربيني (محمد بن أحمد الخطيب، ت: 977هـ)**: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ / 1994م، 5/ 394، البجيرمي (سليمان بن محمد بن عمر، ت: 1221هـ)**: تحفة الحبيب على شرح الخطيب** ، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/ 1995م، 4/ 117.

(10) البُهوتي (منصور بن يونس بن صلاح الدين، ت: 1051هـ)**: كشَّاف القناع عن متن الإقناع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت، 6/ 186.

(11) ابن قدامة: (عبد الله بن أحمد بن محمد ت: 620هـ) الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، حفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكان من بحور العلم، وأذكياء العالم، رحل هو وابن خاله الحافظ عبد الغني في أول سنة إحدى وستين في طلب العلم إلى بغداد، حدَّث عنه: البهاء عبد الرحمان، وأبو شامة وآخرون، صنَّف المغني والكافي والمقنع. (الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان، ت: 748هـ)**: سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/ 1985 م، 22/ 166_168).

(12) ابن قدامة (عبد الله ابن أحمد ابن محمد، ت: 620هـ)**: المغني**، مكتبة القاهرة، مصر، ط1، 1388هـ / 1968م، 9/ 28.

(13) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، 191/5، (مادة: ك ف ر).

(14) ابن منظور: **لسان العرب**، 144/5، (مادة: ك ف ر).

(15) محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ/ 1988 م، ص 383.

(16) ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: 728هـ): **مجموع الفتاوى**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 20/ 86.

(17) متفق عليه: رواه البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، ت: 256هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط1، 1422هـ، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم: 6103، 8/ 26، ورواه مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن، ت: 261هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم/ 60، 1/ 79.

(18) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 11/ 407.

(19) د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني: **قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، مطبعة سفير، الرياض، د.ط، د. ت، ص32–36، (مختصراً).

(20) ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ت: 728هـ): **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1987م، 5/ 539.

(21) السيمياء من السِّحر وحاصله أحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس، وقيل: هو وهو العلم الذي يتصرف به في خيال الأنسان ليحدث منه مثالات خيالية، لا وجود لها في الخارج، ويلتذ بها، ويفزع عنها؛ كما يلتذ يفزع بالصور الخارجية. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، 1/ 469، والقاضي نكري (عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، ت: ق 12هـ): **دستور العلماء**، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، 2/ 201).

(22) يُنظر: ابن عابدين: **رد المحتار على الدر المختار**، 1/ 45، ويُنظر: الهيتمي (أحمد بن محمد بن علي، ت: 974هـ)، **تحفة المحتاج في شرح المنهاج**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1357هـ/ 1983هـ، 9/ 62، ويُنظر: القرافي: **الفروق**، 4/ 137، يُنظر: البُهوتي: **كشَّاف القناع عن متن الإقناع**، 2/ 231، ويُنظر: الرحيباني (مصطفى بن سعد بن عبده، ت:1243هـ)، **مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1415هـ/ 1994م، 3/ 182.

(23) القرافي: **المصدر الأول نفسه**، 4/ 137_ 138.

(24) سحر الهيمياء: هو العلم بأحوال السيارات السبعة من حيث أنها تتصرف في السفليات ودعوتها وتسخيرها، وما يتعلق بذلك ومنه تسخير الجنّيات. (القاضي نكري: **دستور العلماء**، 2/ 201)

(25) يُنظر: ابن عابدين: **رد المحتار على الدر المختار**، 1/ 45، ويُنظر: الرَّملي (محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، ت: 1004هـ): **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م، 7/ 400.

(26) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 29/ 389.

(27) يُنظر: الرازي: **التفسير الكبير**، 3/ 619.

(28) يُنظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 1/ 250.

(29) القرافي: **الفروق**، 4/ 138.

(30) **المصدر نفسه**.

(31) **المصدر نفسه**، 4/ 140.

(32) يُنظر: **المصدر نفسه**، 147/4، ويُنظر: أسامة بن ياسين المعاني: **الصواعق المرسلة في التصدي للمشعوذين والسَّحرة**، ص114_ 115.

(33) يُنظر: الرازي (**محمد بن عمر بن الحسن**، ت: 606هـ): **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ/ 1999م، 623/3.

(34) القرافي: **الفروق**، 148/4، (بتصرف).

(35) الحكمي (حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت: 1377هـ): **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410 هـ/ 1990 م، 2/ 554 .

(36) يُنظر: القرافي: **الفروق**، 4/ 278.

(37) يُنظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ت: 808هـ): ديوان **المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/ 1988م، 661/1.

(38) القرافي: **الفروق**، 4/ 278.

(39) ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، 666/1.

(40) القِنَّوجي (محمد صديق خان بن حسن بن علي، ت: 1307هـ): **أبجد العلوم**، دار ابن حزم، ط1، 1423 هـ/ 2002 م، ص370.

(41) يُنظر: الحاج خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، ت: 1067هـ): **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م، 1/ 650.

(42) **المصدر نفسه**، 4/ 144.

(43) يُنظر: الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان، ت: 748هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413 هـ/ 1993 م، 51/ 198، ويُنظر: محمد بن عبد العزيز الشايع: **آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف**، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427هـ، ص178_179.

(44) الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد، ت: 790هـ): **الاعتصام**، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ / 1992م، 1/ 496.

(45) يُنظر: القرافي: **الفروق**، 144/4، ويُنظر: الرازي: **التفسير الكبير**، 625/3.

(46) البيضاوي (عبد الله بن عمر بن محمد، ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشْلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ/ 1998م، 1/ 97.

(47) القرافي: **الفروق**، 145/4_ 146(مختصراً).

(48) يُنظر: الرازي: **التفسير الكبير**، 3/ 621.

(49) رواه مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم: 2200، 4/ 1727.

(50) يُنظر: القرافي: **الفروق**، 147/4.

(51) ابن النجار (محمد بن أحمد بن عبد العزيز، ت: 972هـ): **شرح الكوكب المنير**، محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ/ 1997 م، 1/ 50، ويُنظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 6/ 295.